

ينظم قسم العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس،  
بالتعاون مع مخبر المناهج التأويلية ووحدة البحث في المتخيل،  
ندوة علمية دولية أيام 6 / 7 / 8 أفريل 2021 تحت عنوان:

## "الضمني في الكلام والأدب والفكر"

الورقة العلمية :

تطرح أركيوني سؤالا خطيرا مؤذاه: أين يبدأ مجال الضمنيات (*الضمني* l'implicite)؟ وعن هذا السؤال ثجيب بما أجاب به عنه غرايس الذي يميز في الكلام بين القول المباشر ومقتضاه أن يقول شيئا، والقول الضمني ومقتضاه أن تحمل أحدهم على أن يفکر في شيء لم تفهه.

ولكن كيف تتم عملية التفكير في شيء غير ظاهر على سطح الكلام؟ لعل الاستدلال (*inférence*) هو العملية الأساسية التي تسمح بالكشف عن الشيء المخفي والضمني في القول. والاستدلال الذي ينبعض به المخاطب أو القارئ، منطلقاته متعددة:

- القول أو النص.
- الجوار النصي أو السياق المقالي (*Cotexte*)، ومعناه أن استكشاف أحد الضمنيات من فصل نصي أو من مقطع من النص، يقتضي تنزيله في السياق الأوسع الذي نزل فيه.
- العناصر المصاحبة للقول أو النص (*Paratexte*) وهي تلك التي تتمثل في مدى صوت المتكلم أو حركاته وسكناته.
- المقام (*Contexte*)، وهو مجموعة ظروف قول ما في مكان ما وفي زمان ما وذلك باعتبار طبيعة المخاطبين وعقائدهم. فالقول في المسجد يختلف عن القول في الجامعة مثلا. ويرجع هذا إلى ما يتوفّر للمقول له أو القارئ من معارف، بها يتأنّى ما خفي في النص أو في القول.

والضمنيات في القول وجوه شتى، ذكر منها

- المعنى الافتراضي (Présupposé) غير المذكور في هذا القول أو ذاك. فعندما أسأل صديقا لي عن رأيه في مؤلفات الطّبرى مثلا، أضمرت اعتقادى ويقينى أنّ هذا الصديق ممّن اختصّ في التاريخ العربى القديم.

- المعنى المهمت (Sous-entendu) وهو المعنى الذى نسوقه في أقوالنا بشكل ضمني ولا نريد أن نتحمّل مسؤوليته بشكل ظاهر، كأنّ أقول لصديق لي صعب المزاج "إنّ حسناً قد أفلّ عن التدخين فشفيّ"، وأنا أريد أن أدفع هذا الصديق إلى النسج على منوال حسن، فإذا لامني مثلاً على قوله تبرأً مما ظنّ صاحبى أنّى قصدته، وكثيراً ما يُستدلّ على هذا المعنى بالمقام.

- العمل القوليّ غير المباشر (L'acte de langage indirect) حسب عبارة سيرل. ومقتضاه أننا نقول أشياء ونحن نقصد أشياء أخرى، كأنّ أقول وأنا ضيف "الطقس حارّ جدّاً"، وأنا أريد طلب تشغيل المكيف.

ولئن وضع غرايس قواعد الكلام تقوم على مبدأ التعاون (Coopération) (بين المخاطبين، ومن هذه القواعد الإفادة والوضوح والصدق وغيرها، فإنه ذكر أيضاً أنّ مثل هذه القواعد غالباً ما يقع خرقها، فينتهي التعاون الظاهر. وعندئذ يلجأ المخاطب إلى تأويل ما خفي أو غمض من الكلام أو نقص منه بالاعتماد على ما يُسمّيه غرايس الاستلزم (Implicature) الذي قوامه التميّز الأساسي بين ما يُقال وما لا يُقال (أي الضمني) من الملفوظ. مما يُساق في المقول يتعلق بالمضمون المنطقي للملفوظ باعتبار مظاهر الصدقية (Vériconditionnels). وفي مقابل ذلك يُعرف الضمني تعرّيفاً سلبياً أي من جهة كونه مسوقاً في الكلام دون ذلك الذي يكون في ظاهره. وعلى هذا النحو يكون الاستلزم متعلقاً بشكل أساسى بالعناصر غير الصدقية في الملافيظ. ومن هذه الجهة كذلك يجعل المتكلّم سامعه أو قارئه يدرك من الدلالة ما يفوق المعنى الحرفي للملفوظ. فعندما أقول مثلاً "ما أروع هذا اليوم، من حسن حظّي أن لم أخرج إلى الحقل بعد"، فقولي "ما أروع هذا اليوم" يحمل انطباعي المعجب بالطقس. لكنّ القسم الثاني من ملفوظي يجعل القسم الأول غير صدقي باعتباره ضرباً من التهكم، ويستلزم تعديله في ضوء السياق، فيصبح الحديث عن روعة الطقس غير صدقي، وإنما يضحي به. وعندما أقول "هذا ابن حسن، إنه طائش"، فإنّا لم أقل إن طيشه مأتاه أبوه، وإنما الطيش يستلزم أن يكون هذا الشبل من ذاك الأسد.

ولا يقتصر مجال الضمّنّيات على حقوق التلطف والتداول، إنّما يعود الفضل في نشأته إلى البنوية الوصفية بعامة وإلى ليونارد بلومفليد (L.Bloomfield) (على وجه الخصوص، وذلك في إطار الاتّجاه التوزيعي). كما لا تتحصّر الجهود في الضمّنّيات في أعمال غرايس وأوستين وسورل وإنّما هي تتجاوز ذلك إلى مباحث ديکرو وانسکير في نطاق سلام

## الحجاج (Linguistique) واللسانيات المدمجة (Les échelles argumentatives) .intégrée)

وإذا كان الكلام عامّة مجالاً لعديد مظاهر الضمّنيات، فإنّ الأدب عامّة شعراً كان أو قصصاً أو مسرحاً، أكثر مجالات الضمّنيات اتساعاً وعمقاً باعتبار أنّ الخطاب الفنّي عامّة هو خطاب غير مباشر منفصل عن منتجه وعالمه التاريخي. فليس في الأثر الفنّي إحالات مباشرة على حقائق الناس، وإنّما الإحالة على هذه الحقائق غير مباشرة تتمّ بوسائل الصور والايقاع في الشعر وعبر الشخصيات والأمكنة والأزمنة التخييلية وعن طريق الرواية، وسائل بين عالم التخييل وعالم الناس في مجال القصص.

أمّا في المسرح فالتمثيل على الركح إعادة صياغة أخرى للتاريخ، مثلما أنّ الألوان والأشكال في فنّ الرسم ظواهر لحدث مضرّر وخیال مجسّد. ولا شكّ في أنّ صفة اللامباشرة في الأدب هي التي تجعل ما يقال في ظاهره غير ما يراد قوله في باطنه. وعلى هذا الأساس يكون الفنّ عامّة مجالاً لفراغات التي هي عنوان الضمّنيات. والفراغ في السنن الأدبي يكسب النصّ دلالة افتراضية تتجاوز الدلالة اللغوية. وعلى هذا النحو يضحي العمل الفنّي عامّة، مجالاً لعدّة التأويلات.

ومبحث الضمّنيات قديم قدم المنطق عائد إلى قياسات أرسطو على وجه التّحديد. والقياس المضرّر هو في مجرى الاستدلال من أوكد الحالات دلالة على ما هو ضمّني باعتبار العنصر المحذوف.

وللفلسفة عموماً والفلسفة الحديثة خصوصاً، دور رياضي في إظهار المضرّر وتعرية الضمّني في القول أو فضح المسكوت عنه في الظواهر، ليس لأنّ من الضروري مهامها الاستشكال والنقد فحسب، ولكن لأنّ التأويل من أهمّ مداراتها أيضاً. وقد بات من الواضح في الدراسات التي تهتمّ بالتأويل والهرمنيوطيقاً، أنّ أظهر تجلّيات التأويل كونه نشاطاً ذهنياً وفعالية إنسانية يسمحان للمتلقي بأن يتعقّل في تفاصيل النصّ وأن يبحث عن حقائقه المضّمرة، وربما المغمورة، لا اعتبارات معينة من أجل فهمه وفك رموزه.

وبناءً على ذلك، يمسي التأويل ذلك التجسيد العمليّ لمضمون الفهم في كلّ عملية تواصلية، بل إنّه يكون أيضاً وسيلة لاستكشاف السنن على اختلاف صوره سواء كانت دينية أو علمية أو أخلاقية أو إبداعية. من أجل ذلك يصبح التأويل على صلة متينة بمحاولة تفكير إشكاليّة الفهم وإدراك كنهاها، لا باعتبارها تصوّراً نفسياً ولكن بوصفها تصوّراً وجودياً يراعي خصوصية افتتاح الكائن على ذاته وعلى الوجود، ذلك أنّ للفهم وجوهاً كثيرة، منها الوجودي ومنها التاريخي ومنها الجمالي كذلك.

ويبدو أنّ للتأويلية علاقة قوية بالضمّني مادامت منابعها قد تجلّت في الأصل من عدم الفهم التاجي عن تحوّل القول إلى نصّ، أي من ضياع المعنى الأولى الحيّ المباشر وعجز

هذا النصّ عن الايفاء بأسئللة المعنى التي تصاغ حين قراءته. لذلك كانت الفيلولوجيا هي أصل التأويلية لتأسّسها جوهريًا على إعادة تحبيـن الدلالة بعبارة غوسداروف أو ترميم المعنى بعبارة بول ريكور. بيد أن العناية بالفـيلولوجيا لم تمنع استدعاء التقليـد التأويلي المنـصـت للمجاز ولثانية المـعـنـونـيـ والمـضـمـنـيـ.

ولم تكن ضمنيات القول لتغيب عن تراثنا العربي سواء ضمن مبحث الحذف في التحوـ والبلاغة أو في مجال السـيـاق بالـلـسـان وبـغـيرـ اللـسـانـ، فـضـلاـ عـنـ نـصـوصـ الـبـيـانـ الـمـحـفـلـةـ بـمـوـاضـيـعـ السـكـوتـ وـالـصـمـتـ كـتـلـكـ الـتـيـ خـاصـ فـيـهاـ اـبـنـ المـقـعـ وـالـجـاحـظـ مـثـلـاـ. وـلـمـ تـغـبـ ضـمـنـيـاتـ القـوـلـ وـالـفـكـرـ عـنـ عـلـمـاءـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ وـعـنـ الـفـقـهـاءـ، بلـ إـلـئـمـ خـصـصـواـ مـقـدـمـاتـ لـغـوـيـةـ طـوـيـلـةـ فـيـ مـصـنـفـاتـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ لـلـوـقـفـ عـلـىـ عـلـاقـةـ الـلـفـظـ بـالـمـعـنـىـ فـيـ الـخـطـابـ، وـانـتـهـواـ إـلـىـ مـسـأـلـةـ الـقـصـدـ باـعـتـارـهـ مـفـهـومـاـ يـتـعلـقـ بـصـاحـبـ الرـسـالـةـ أوـ منـشـئـ الـخـطـابـ أـكـثـرـ مـنـ اـتـصالـهـ بـالـخـطـابـ ذاتـهـ. ثـمـ إـنـ الـأـصـوـلـيـينـ قدـ دـعـاهـمـ ضـبـطـ أـحـكـامـ التـكـلـيفـ فـيـ النـصـ الـمـقـدـسـ إـلـىـ الـإـنـتـبـاهـ إـلـىـ أـنـ الـخـطـابـ فـيـ الـقـرـآنـ يـخـاتـلـ قـارـئـهـ وـيـظـهـرـ أـحـيـاناـ عـكـسـ مـاـ يـبـطـنـ، فـوـقـفـواـ وـقـفـاتـ دـقـيقـةـ عـلـىـ مـفـهـومـ الـخـطـابـ مـنـاطـاـ وـفـحـوىـ، ظـاهـراـ وـبـاطـناـ، وـغـيرـهاـ مـنـ الـثـانـيـاتـ الـتـيـ وـضـعـوـهـاـ لـمـحـاـصـرـةـ الـقـصـدـ وـضـبـطـ الـدـلـالـةـ وـتـحـدـيدـ مـسـالـكـهاـ.

في ضوء ما تقدم ندعـوـ الـبـاحـثـيـنـ إـلـىـ الـكتـابـةـ فـيـ أـحـدـ الـمـحاـوـرـ التـالـيـةـ:

- الضـمـنـيـ فـيـ فـنـونـ الـبـلـاغـةـ وـصـنـوـفـ الـكـتـابـةـ الـأـدـبـيـةـ.
- الضـمـنـيـ فـيـ مـجـالـ الـلـسـانـيـاتـ وـعـلـومـ الـلـغـةـ.
- الضـمـنـيـ فـيـ الـخـطـابـ الـفـلـسـفـيـ وـالـتـارـيـخـيـ وـالـدـرـاسـاتـ الـتـقـافـيـةـ وـالـحـضـارـيـةـ.
- الضـمـنـيـ فـيـ الـخـطـابـ الـدـيـنـيـ وـالـعـلـومـ الـإـسـلـامـيـةـ.
- الضـمـنـيـ فـيـ مـبـاـحـثـ الـفـنـونـ وـالـجـمـالـيـاتـ.

تخضع جميع الأوراق البحثية للتحكيم وترسل المقترفات على العنوان الإلكتروني التالي:

[dhimni2021@gmail.com](mailto:dhimni2021@gmail.com)

آخر أجل لقبول الملخصات يوم 30 نوفمبر 2020.

ملاحظة: يمكن للندوة أن تتعقد عن بعد إذا حالت جائحة كورونا دون الحضور المباشر.

شروط المـهـارـةـ:

- ضرورة الالتزام بإشكالية الندوة، والبحث في واحد من محاورها.
- أن يكون البحث جديدا ولم ينشر من قبل ولم يقدم في ندوة أخرى أو ملتقى آخر.
- تكتب البحث ببرنامج (word)، بخط (Simplified Arabic) بحجم 14 في المتن و12 في الهوامش للبحوث باللغة العربية. وبخط (Times New Roman) بحجم 12 في المتن و10 في الهوامش للبحوث باللغة الفرنسية والإنجليزية.
- ترفق الملخصات والبحوث بسيرة ذاتية مختصرة عن أصحابها (في حدود 150 كلمة).
- يتلقى أصحاب البحث المقبدولة دعوة رسمية للمشاركة في أشغال الندوة.
- تخضع جميع البحوث للتحكيم العلمي، ويتعهد أصحاب البحث المقبدولة بإجراء التعديلات التي تقترحها اللجنة العلمية عند الاقتضاء في آجال مضبوطة.
- يتعهد قسم اللغة العربية وأدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس بنشر أعمال الندوة.